

التنوع المصطلحي في اللغة العربية حديثا: عوامله وآثاره.

أ/ طاهر ميلة

جامعة الجزائر 2

مدخل

تأثرت حركة إصلاح اللغة العربية في العصر الحديث بالتصور الفكري السائد منذ القديم، لما يجب أن تكون عليه هذه اللغة، من حيث الدقة والوضوح والانسجام مع قواعد اللغة الفصحى وأساليب تعبيرها. وقد سعى اللغويون والمؤسسات المشرفة على هذا العمل الإصلاحي تجسيد ذلك. وهو تصور لم يختلف كثيرا عما كان في اللغات الحضارية الأخرى، وعززت بعض جوانب هذا التصور، بعد قرن ونيف من العمل الإصلاحي المتواصل، بمبادئ النظرية العامة للمصطلحية التي تأثر بها العمل المصطلحي في معظم لغات العالم.

لم تتغير هذه النظرة إلى ما يجب أن تكون اللغة عامة واللغة العلمية على وجه الخصوص، سواء عند العرب أو عند غيرهم، إلا بعد الستينيات من القرن الماضي، لما ظهر تيار لساني جديد، بدأ ينشر نتائج التحريات الميدانية للممارسات اللغوية العامة التي أجريت في الولايات المتحدة في البداية، وفي غيرها من البلدان بعد ذلك. كما أجريت دراسات أخرى مائة لهذا الاتجاه اللساني الاجتماعي، ابتداء من الثمانينات على المصطلحات العلمية والخطابات التي ترد فيها في فرنسا وغيرها من البلدان، وتوصل اللسانيون والعاملون في حقل المصطلحات، بعد ذلك إلى أن التنوع المصطلحي حقيقة ماثلة للعيان في الخطابات العامة والعلمية والمهنية، لذلك ينبغي إمعان النظر فيه والسعي لفهمه، بعد دراسته دراسة لسانية اجتماعية، بغرض التحكم فيه، بدل محاربه أو التقليل من شأنه، كما قال فرانسوا قودان (François Gaudin):³

لم تؤثر هذه المقاربة الجديدة في العمل المصطلحي العربي، وقد يعود السبب في ذلك إلى حداثة نشأة هذا الاتجاه، أو إلى عدم الاقتران به، لأنه تيار مناقض لهدف التوحيد المصطلحي الذي هو من الأهداف الأساسية المنشودة،

طاهر ميلة: التنوع المصطلحي في اللغة العربية حديثا: عوامله وآثاره.

بدليل استمرار نفس الخطاب الموجود حول هذا الموضوع منذ أواسط القرن العشرين إلى يومنا هذا، وكذلك ندرة الدراسات التي خصصت له بهذا التوجه الجديد، ماعدا بعض المقالات والبحوث التي لا تتجاوز أصابع اليد حسب قراءتنا- مثل الدراسة التي أعدت في إحدى الجامعات الكندية⁵.

يدخل العرض الذي تقدمه في هذا الإطار العام للتنوع المصطلحي في اللغة العربية، ونحاول أن نصفه وصفا عاما موجزا، وكيف تمت معالجته، ونختمه بالإشارة إلى أهم العوامل التي أدت إلى ظهوره وإلى بعض آثاره السلبية على التعليم والتواصل العلمي العربي، ونقتصر في كل ذلك على التنوع المصطلحي الترادفي⁶، ونهمل الأنواع الأخرى التي ذكرها بعض الباحثين⁷. لأن دراستها تحتاج إلى خطابات علمية، تستخرج من الاستعمال الحي، تلك الخطابات التي تبين المقامات والسياقات التي ترد فيها، وتظهر مدى تواترها وشيوعها، حتى نحكم على هذه الظاهرة بالاطراد، وهو الأمر الذي لم يتيسر لنا.

1- لمحة تاريخية موجزة عن التهيئة المصطلحية في اللغة العربية.

يعود الاهتمام بتهيئة اللغة العربية لمواجهة مقتضيات العصر الحديث إلى بدايات القرن التاسع عشر، أي بعد حملة نابليون على مصر⁸، وانصب هذا الاهتمام في المرحلة الأولى على توليد لألفاظ العامة والمصطلحات العلمية، للتعبير عن المفاهيم الحضارية والعلمية الجديدة التي بدأت تدخل العالم العربي بألفاظها الأجنبية في البداية، وبأعداد كبيرة، وهو ما جعل إبراهيم البازجي يدعو إلى وضع خطة لمواجهة هذا الوضع اللغوي الجديد قائلا "فإذا لم نبادر إلى سن طريق يمكن بها وضع ألفاظ لهذه المستحدثات، أو سبب ألفاظها في قالب عربي لا تشوه به هيئة اللغة، لم نلبث أن نرى الأفلام قد تقيدت عن الكتابة في هذه الأمور وأصبح أكثر اللغة أعجميا"⁹. وتوجد إلى جانب هذه الألفاظ الناتجة عن الحضارة الغربية ألفاظ أخرى تركية وفارسية، كانت متداولة في مصر والشام والعراق منذ سيطرة الحكم العثماني على هذه البلدان.

عمل الأدباء واللغويين والمترجمون والإعلاميون على إيجاد مقابلات عربية لها ونشرها، كما عمل هؤلاء الرواد على نقد المعاجم القديمة التي لم تعد تفي بمحاجات العصر، وتأليف أخرى جديدة، فضلا عن البحث عن الأساليب التي استعملها العرب القدامى في التوليد للاستعانة بها، كما أسسوا لجنة لغوية، تشرف على هذه العملية، أطلقوا عليها

طاهر ميلة: التنوع المصطلحي في اللغة العربية حديثا: عوامله وآثاره.

اسم " مجمع البكري"، نسبة إلى مؤسسها، لكنها حُلت بعد مدة قصيرة، كما أسس رافع رفاع الطهطاوي مدرسة للترجمة، سميت ب "مدرسة الألسن"¹⁰.

استمر هذا العمل الإصلاحي وتكثف وتنوع خلال القرن العشرين، بحيث شمل جميع الجوانب التي هي في حاجة إلى إصلاح، وخاصة في التوليد وتأليف المعاجم العامة والمتخصصة، أحادية اللغة والثنائية ومتعددة اللغات. ومثل هذه الموضوعات تحتاج إلى بحث دائم، لارتباطها بتطور العلوم والتقنيات وكذلك تطور المجتمع. وأنشئت لجان مصطلحات ومؤسسات لغوية كثيرة: مجامع ومعاهد متخصصة وهيئات مهنية وعلمية، ساهمت بدورها في العمل المصطلحي المرتبط باختصاصاتها، مثل اتحاد الأطباء العرب والبريد والسكك الحديدية وغيرها من الهيئات والاتحادات. بعض هذه المؤسسات قطرية والأخرى عربية مشتركة، كاتحاد المجامع اللغوية العربية ومكتب تنسيق التعريب¹¹.

حددت غايتان لإصلاح اللغة العربية، أو تهيئتها، كما سميت فيما بعد، هما المحافظة على سلامة اللغة العربية، علمية كانت أو عامة، وجعلها مواكبة لمقتضيات العصر الحديث، بغية ربط حاضرها بماضيها المزدهر، وإن كان من الصعب التوفيق بين هاتين الغايتين فيما يبدو. أما الأهداف الأساسية فهي إيجاد المقابلات العربية المناسبة للمفاهيم الجديدة والسعي لتوحيدها.

جهود كبيرة أخرى، بذلت للنهوض باللغة العربية لتستجيب لمقتضيات العصر الحديث، ولاسيما في ضبط المنهجيات الضرورية للتوليد، القصد منها دقة الألفاظ والمصطلحات ووضوحها ومناسبتها لمعيار اللغة العربية الفصحى، دون إهال العادات اللغوية للمستعملين، واستعين في ذلك ببعض التوصيات التي تقدمها المنظمة الدولية للمقاييس (ISO) في هذا الموضوع. كما رخص مجمع اللغة العربية بالقاهرة استعمال بعض الصيغ والأساليب الجديدة التي فرضها الاستعمال في العصر الحديث، شريطة ألا تتعارض مع قواعد اللغة العربية¹² مثل أساء الآلة وصيغة المصدر الصناعي والاستقاق من أساء الأعيان...

2- وصف الظاهرة ومحاولة تحليلها

ارتبط التنوع المصطلحي والمفرداتي في اللغة العربية ببدايات التوليد في القرن التاسع عشر، أي مع بداية النهضة العربية الحديثة¹³، ومعظم ما ولد آنذاك كان في مصر والشام الذي كان يشمل ما يسمى الآن سوريا ولبنان

طاهر ميلة: التنوع المصطلحي في اللغة العربية حديثا: عوامله وآثاره.

وفلسطين والأردن. وكثير مما يُستعمل اليوم من ألفاظ ومصطلحات، وهو موحد توحيدا تاما في العربية المكتوبة، على الأقل، يعود إلى هذه الفترة من تاريخ اللغة العربية.

بدأ هذا التنوع بدخول كلمات أجنبية الاستعمال العام والخاص بأعداد كبيرة، للتعبير عما اقتضاه العصر الحديث آنذاك، فضلا عن الكلمات التركية والفارسية التي كانت تستعمل من قبل في هذه البلاد، وهو الأمر الذي دفع اللغويين والأدباء والمترجمين، مثل رفاعه الطهطاوي وأحمد فارس الشدياق وإبراهيم اليازجي وغيرهم إلى اقتراح بدائل عربية، مثل المستشفى بدل مارستان، ومعمل او مصنع بدل فبرقا أو كارخانه. وصيدلية وصيدلي بدل دوائية ودوائي. وتوجد في الوقت نفسه كلمات دخيلة، كانت تستعمل كما هي ومازالت إلى يومنا هذا في المعاملات اليومية، مثل بوسطة ودكتور وغيرها، واقترحت لها بعد مقابلات عربية، تستعمل في اللغة المكتوبة على وجه الخصوص. كما توجد كلمات دخيلة بقيت بدون مقابل عربي لها إلى اليوم، مثل كرفال وبارون وغيرها...هكذا بدأت ظاهرة التنوع المصطلحي في اللغة العربية ملازمة لحركة التوليد التي استمرت طيلة القرن العشرين وإلى يومنا هذا، وسبب هذه الملازمة يعود إلى كون كل مفهوم جديد يظهر بلفظه الأجنبي، إما أنه يدخل الاستعمال العام مباشرة بهذه الصفة وينغرس فيه، وهو حال ألفاظ الحضارة الحديثة، وبعد مدة، وغالبا ما تكون طويلة نسبيا، تبدأ المقترحات العربية البديلة لها، وهي نفسها متباينة في صيغها وطرق تركيبها. ومثل هذا الوضع هو الذي جعل هذه المقترحات البديلة غير مستساعة من قبل المستعملين، ولاسيما في مستوى المنطوق، وإذا استعملت في لغة التحرير فتكون متنوعة بتنوع البدائل العربية الأخرى التي يوردها المؤلفون والمترجمون¹⁴. أما مصطلحات العلوم فلا تدخل الاستعمال بلفظها الأجنبي في كثير من الأحيان، لأنها موجهة إلى الخاصة من الناس، وتستعمل في لغة التحرير، وعلى الرغم من ذلك يبقى التنوع ظاهرة عامة فيها، ويعود السبب هنا إلى تعدد البدائل التي يقترحها الواضعون والمترجمون، وهم في ذلك شيع ومذاهب، ومعظم بدائلهم هذه تدخل الاستعمال، لكن بنفس هذه الصفة أيضا، أي التنوع، لأن هؤلاء المؤلفين والمترجمين متباينون بتباين معارفهم العلمية ومكتسباتهم اللغوية، سواء في العربية أو اللغات الأجنبية، وكذلك اختلاف اتجاهاتهم الفكرية واللغات التي ينقلون منها..

وما زاد هذه الظاهرة حدة وتعقيدا، بمرور الزمن، الأعداد الضخمة من المصطلحات العلمية والألفاظ الحضارية الجديدة التي تظهر في كل وقت، ويجب ترجمتها، وهي في عدد كبير من مجالات المعرفة الأساسية والتطبيقية، وكذلك مشاركة معظم البلدان العربية في الترجمة والتوليد، من خلال الأفراد ومؤسسات كل بلد: مجامع، معاهد، لجان الترجمة والتعريب التي غالبا ما تعمل بدون تنسيق فيما بينها وبين مثيلاتها في البلدان الأخرى¹⁵، ولاسيما في النصف الثاني من القرن العشرين، بعد استقلال الدول العربية عن مستعمرها. نتج عن كل ذلك تعدد وجهات النظر المختلفة في

طرق التوليد، على الرغم من المنهجيات التي وضعت للحد من هذا التعدد والاختلاف، ووجود مؤسسات تعمل على توحيد المصطلحات، مثل اتحاد المجامع العربية ومكتب تنسيق التعريب اللذين سبقتا الإشارة إليهما. ولايضاح هذا الاختلاف في أساليب التوليد وما انجر عنه من تنوع مصطلحي يكفي أن نقارن بين ترجمتين أو عدة ترجمات لكتاب واحد أو مقالة، تدرس موضوعا محمدا، أو بين معجمين أو عدد من المعاجم المتخصصة في مجال معرفي معين لتدرك حجم هذا الظاهرة وانتشارها، وأحسن مثال على ذلك الترجمات المختلفة لكتاب دوسوسور والمعجم اللسانية في النصف لبثاني من القرن العشرين، فما هو مختلف فيما بينها أكبر بكثير مما هو متشابه.

قد نقول، غير مبالغين، إنه من النادر في كثير من الأحيان أن نجد مفهوما جديدا، نقل إلى اللغة العربية بلفظ عربي واحد، فمعظم المفاهيم التي ترجمت لا يقل كل واحد منها عن مقترحين أو أكثر، زيادة على اللفظ الأجنبي، إذا دخل الاستعمال، لأن اللغة العربية مرنة وغنية بإمكاناتها التعبيرية. فكل واضع من واضعي ينهل منها ما يشاء، ويفتخر بما وضع، دون الالتفات إلى ما هو مستعمل أو ما اقترحه غيره. فالمشكلة إذن ليست في اللغة العربية في حد ذاتها، كما يقال أحيانا، بل هي في كيفية استغلال إمكاناتها في مختلف المجالات العلمية والتقنية التي ترجمت والتي لم تترجم وما أكثرها، أي أن هذا الإفراط في تنوع البدائل لكل مفهوم، تقابله ظاهرة أخرى هي التفریط في إيجاد مقابلات عربية لعدد كبير جدا من العلوم والحرف والتقنيات، ناهيك عن التقنيات الرائدة¹⁶ كما سهاها لاختصر غزال رحمه الله.

يتصف عدد كبير من المصطلحات العلمية التي ولدت حديثا بصفات أخرى لفظية ودلالية غير منسجمة مع ما يجب أن يتصف به المصطلح العلمي، ويمكن إدراك ذلك من خلال البنية الكبرى للمعاجم المتخصصة والمداخل الأساسية والفرعية التي تكونها، ولاسيما إذا نظرنا إلى ذلك من منظور النظرية العامة للمصطلحية أو إلى ما اقترحه وتقدّمه المنظمة الدولية للمقاييس. ويأتي الغموض واللبس الناتجان عن الاشتراك اللفظي في صدارة هذه المشكلات الدلالية. أما إذا نظرنا إلى كيفية ورود هذا التنوع في الاستعمال، فيمكن القول إنه غالبا ما يوصف بالاضطراب، بل بالفوضى أحيانا، لأنه قد نجد كل هذه "المتنوعات" أو المترادفات في بلد واحد أحيانا، مثلما حدث في الجزائر في المسعينات والثمانينات، عندما استعانت وزارة التربية الوطنية بأساتذة من البلدان العربية لتعريب العلوم¹⁷. وقد نجد بعضها مجتمعا في مؤلف واحد، ولاسيما في بحوث طلبة الدراسات العليا.

ليس من السهل الجزم علميا بوجود خصوصية لغوية بكل بلد في مجال المصطلحات العلمية، لعدم وجود دراسات، انطلقت من الاستعمال الفعلي للتصويع العلمية، وفق ما تقتضيه البحوث الميدانية مثلما هو حاصل في

دراسة خصوصيات اللغة الفرنسية المستعملة في كثير من البلدان الإفريقية وكندا وبلجيكا¹⁸. غير أن ما تورده الكتب والمقالات من الأمثلة القليلة لهذا الموضوع تؤكد وجود هذه الخصوصية، ولاسيما في مصر وسوريا والعراق وبلدان المغرب على سبيل المثال لا الحصر¹⁹. ومعظم الأمثلة التي يأتي بها هؤلاء الدارسون يمكن تصنيفها ضمن المصطلحات الإدارية أو الألفاظ الحضارية بمفهومها العام، تلك المصطلحات التي تنتشرها كل دولة على حدة وتثبتها بالتالي في الاستعمال بواسطة وسائل إعلامها وغيرها من قنوات الاتصال الجماهيري، ولذلك يصعب استبدالها بغيرها، بل تجد أحيانا معارضة علنية لأي تغيير²⁰. أما المصطلحات العلمية الأخرى، مثل الرياضيات والفيزياء وخاصة علمي الحيوان والنبات اللذين يكثر فيها الاختلاف، فالمؤسسة التعليمية هي التي تجعل من بعض هذه التنوعات خصوصيات مصطلحية في كل بلد.

3- دراستها وكيفية معالجتها.

تمت معاينة التنوع المصطلحي والشعور بالحاجة إلى معالجته في العشرينات من القرن الماضي، إثر انفصال العراق وسوريا عن الدولة العثمانية، وقررت هاتان الدولتان جعل العربية لغة رسمية في التعليم والإدارة، بدلا من اللغة التركية. ولتنفيذ هذا القرار استعانت العراق بأساتذة من مصر وسوريا لتدريس العلوم، وهنا ظهرت الاختلافات بين هؤلاء الأساتذة في المصطلحات التي يستعملونها. ومن هنا أدرك القائمون على تدريس العلوم أن تعدد المصطلحات للمفهوم الواحد يعيق التعاون العلمي بين الدول العربية. وأول من دعا إلى التغلب على هذه المشكلة، أو بالأحرى إلى حلها، في الثلاثينات من القرن الماضي المستشرق الإيطالي نلينو، بصفة رسمية إلى مجمع اللغة العربية بالقاهرة، بوصفه عضوا فيه²¹، غير أنه لم يُشرع في العمل على تجسد هذه الدعوة إلى التوحيد إلا في المؤتمر الذي نظمته جامعة الدول العربية سنة 1956، وأسس على إثره اتحاد المجمع اللغوية العربية للقيام بمهمة توحيد ما تقترحه مجامع اللغة العربية الموجودة آنذاك، لأن مسألة التنوع المصطلحي أصبحت مشكلة، لا تقتصر على الاضطراب والفوضى في استعمال المصطلحات وعلى الحد من التعاون العلمي بين البلدان العربية فحسب، بل أصبحت مشكلة من بين المشكلات التي تعيق الوحدة بين هذه البلدان، تلك الوحدة التي بدأت بين مصر وسوريا سنة 1958، وأطلق عليها اسم "الجمهورية العربية المتحدة"، إلا أنها لم تدم مدة طويلة لأسباب كثيرة، منها اللغوية.

إن هذا الطموح إلى الوحدة بين الدول العربية والعمل على تحقيقه في هذه الفترة هو من بين العوامل الأساسية التي عجلت بدراسة هذه الظاهرة في تصورنا ومحاوله إيجاد حلول لها، بدليل بداية اهتمام هذه الدول بذلك بإشراف جامعتها وشروع مجمع اللغة العربية بالقاهرة بدراستها من جوانب مختلفة، حسب المعطيات العلمية الموجودة آنذاك، ولو لم يتم ذلك باسم التنوع أو أحد مرادفاته، لأنه مرفوض، ولكنه بشار إليه عند دراسة توحيد المصطلحات، وهو الغاية.

قام مجمع القاهرة بدعوة عدد من أعضائه لإعداد بحوث حول توحيد المصطلحات العلمية، قصد الوقوف على حجم هذا الاختلاف وأسبابه وكيفية إيجاد الحلول المناسبة له. ومن بين أهم البحوث التي أقيمت في هذا الموضوع في مجمع اللغة العربية على سبيل المثال: محاضرة الشيخ محمد رضا الشبيبي بعنوان "توحيد المصطلحات"، أورد فيها عددا من المعلومات والأفكار المتعلقة بهذه المسألة، مثل المجالات التي كثر فيها تعدد المصطلحات كالإدفاع والإدارة والفنون والأشغال وغيرها من المجالات، وعزا هذه الاختلافات إلى المنافسة بين اللغات التركية والفارسية والعربية، كما أتى بأمثلة مختلفة عن المصطلحات العسكرية التي اختلفت فيها مصر عن العراق²². ومن الذين ألقوا محاضرات أيضا في هذا المجمع الأمير مصطفى الشهابي الذي عنون محاضرتة ب"توحيد المصطلحات في البلاد العربية" قال فيها: "إن الشعور بضرورة التوحيد عام في البلاد العربية، غير أن آراءهم في كيفية تحقيقه متضاربة"²³، كما ذكر الأسباب التي أدت إلى عدم التوحيد قائلا: "لقد كثر المتصدون لوضع المصطلحات العلمية بلساننا، فهذا يعمل تلبية لهوى في نفسه وتعشقا لهذه اللغة وثان يعمل مدفوعا بالغرور وحب الظهور وثالث يعمل للتجارة وما فيها من كسب وريح المال ورابع يعمل تلبية لرغبة دول أجنبية..."²⁴

استمر العمل المصطلحي في مجمع اللغة العربية بالقاهرة وفي غيره من المجمع، مثل المجمع السوري والعراقي والأردني لتوليد مصطلحات جديدة والتنسيق مع مكتب تنسيق التعريب لتوحيدها، وكذلك تأليف معاجم عامة ومتخصصة. أما مهمة النظر في قضايا اللغة التي تحتاج إلى اجتهاد علمي، فقد أسندت إلى مجمع اللغة العربية بالقاهرة، لما له ولأعضائه من مكانة علمية لدى النخبة العربية عامة والمؤسسات اللغوية الأخرى الماثلة على وجه الخصوص. ومن أهم الأعمال التي قام بها هذا المجمع، ولها علاقة مباشرة أو غير مباشرة بالتنوع المصطلحي: إصدار قرار يسمح بالساع من الحداث، بعد نقاش طويل حول هذا الموضوع الهام، إعداد المبادئ الأساسية التي يجب أن تتبع في وضع الألفاظ العامة والمصطلحات العلمية للتعبير عن المفاهيم الجديدة،، شتميط بعض الوحدات الصرفية لتكون لها نفس الدلالة،

طاهر ميلة: التنوع المصطلحي في اللغة العربية حديثا: عوامله وآثاره.

مما كان التركيب المصطلحي الذي تدخل فيه، مثل شبه وفاعل، كما اقر مقابلات لعدد من الحروف اللاتينية التي يفتقر إليها نظام الكتابة العربية وغيرها من القرارات الكثيرة²⁵.

ولعل أهم هيئة عربية مشتركة أنشئت للتكفل بتوحيد المصطلحات وتنسيق التعريب بين البلدان العربية، كما أشرنا إلى ذلك سابقا، هو مكتب تنسيق التعريب الذي أصدر عددا من المعاجم الموحدة والموجهة إلى تعريب التعليم العام في المرحلة الأولى، ومجاة اللسان العربي، ونظم عددا كبيرا من اللقاءات والجلسات العلمية لتوحيد منهجيات وضع المصطلحات وغيرها من الموضوعات التي تخدم تنمية اللغة العربية عامة وتوحد استعمال المصطلحات العلمية على وجه الخصوص.

وإذا نظرنا إلى نتائج هذه الجهود الكبيرة التي بذلت في توليد المصطلحات العلمية والألفاظ الحضارية وتوحيدها، يمكن القول إنها دون المنبغى في الممارسة الفعلية للعربية العلمية، لكون هذه الجهود شُرعت في علاج مشكلة التوحيد قبل تشخيص التنوع المصطلحي تشخيصا دقيقا، والاقْتصار على التوليد وإهال كيفية نشر ما يولد. فهذه النتائج إذن ضعيفة في لغة علوم وشبه منعمدة في لغة التقنيات والمهن، لارتباطها بالاستعمال العام أو بالحرف الجديدة التي غالبا ما تدرس بالعامية أو باللغات الأجنبية، وإن وجدت فيها بعض المقابلات العربية فهي قليلة، ولم تدخل الاستعمال. فمشكلة التنوع المصطلحي، أو عدم توحيدها لم تُحل بدليل بقائها، بل ازدادت حدة بمرور الزمن، كما أشرنا إلى ذلك سابقا، ذلك الزمن الذي قبل عنه إنه كفيل بمجاه.

فالانكسار على التعميط وحده، وهو ضروري، وإن كان العمل فيه محدودا جدا، وتوحيد منهجيات وضع المصطلحات، قد يقلل من الاختلافات في التوليد ويفيد المصطلح العربي في بنيتها ودلالته وارتباطه بالتراث اللغوي القديم ومراعاة عادات المستعملين لكنه لا يهيئ مشكلة التنوع، لكون هذه القواعد قد تستبعد على سبيل المثال: العقل الإلكتروني والحاسب الآلي والكمبيوتر، لكون بعضها مركبا والآخر دخيلا، لكنها لا ترفض المتنوعات الأخرى مثل الرتابة والحاسب والحاسوب، كما يمكنها أن ترفض المباليل والبرتايل الشائعتين في الاستعمال العام، لكنها لا ترفض المحمول والخلوي، وقد يفضل أحدهما عن الآخر لسبب ذاتي أو موضوعي. فالمشكلة الأساسية ليست في اللغة العربية، بل هي في حسن توظيف إمكاناتها التوليدية وتقريبها من المستعملين بأساليب قريبة من الانتشار الطبيعي للغات.

كما أن الاعتماد على المعاجم في التوحيد قد يكون له دور، لكنه محدود جدا بالنسبة إلى عامة المستعملين، لأسباب كثيرة، منها أن وظيفة المعجم ليست نشر المصطلحات وتوحيدها في الدرجة الأولى، بل هي فهم معنى مصطلح أو كلمة أو التأكد من صحتها بنويا ودلاليا. فالمعجم غير معد للقراءة كالكتاب كما قال بيير أوجي²⁶ (Pierre)

(Auger)، والسبب الثاني هو أن هذه المعاجم تورد في كثير من الأحيان بعض هذه المتنوعات وتهمل الأخرى بدون الإشارة إلى مقاييس الاختيار، فهذا المعجم يورد مصطلحا أو مصطلحين مترادفين، والمعجم الآخر يورد مترادفين آخرين أو أكثر، وقد يشترك المعجمان في مصطلح وقد يختلفان كل الاختلاف، وهذا يعني أن المعاجم العربية عكست التنوع المتداول وأعطته بذلك شرعية الاستعمال، ولو أن بعض المترادفات هي مجرد اقتراحات، لم تستعمل من قبل. ثم إن هذه المعاجم لا تصل دائما إلى كل المستعملين في جميع البلدان العربية، ومثل هذه الملاحظات تنطبق أحيانا على المعاجم التي يقال عنها إنها موحدة.

فلا بد إذن من دراسة التنوع المصطلحي والبحث - زيادة على ما سبق من العمل- عن أساليب أخرى للتحكم، لجأت إليها في العقود الأخيرة بعض اللغات ذات الانتشار الواسع، مثل الإنجليزية والفرنسية والإسبانية، تلك اللغات التي تشترك مع اللغة العربية في المساحة الجغرافية الواسعة والكثافة السكانية الكبيرة وتعدد الدول التي تستعمل هذه اللغات بصفتها لغات رسمية.

4- العوامل والآثار على التعلم والتواصل العلمي:

ذكر البارسون عددا من العوامل التي أدت إلى عدم توحيد المصطلحات العلمية منها: تعصب الأفراد والأقطار للمصطلحات التي يضعونها وقلة التنسيق بين واضعيها والجهات المشرفة على العمل المصطلحي، واختلاف اللغات التي يترجم منها²⁷. فمثل هذه العوامل هي التي تكثر الإشارة إليها، وهي عوامل حقيقية ومطردة.

وتوجد عوامل أخرى أقل تداولاً بين الباحثين، ولكنها لا تقل أهمية عن العوامل السابقة، ومن أهمها بطء حركة التوليد عامة، مقارنة بتواريخ ظهور المفاهيم العلمية، وبطء المؤسسات المكلفة بالتهيئة المصطلحية والمفرداتية في اقتراح بدائل مصطلحية، تراها أدق أو أفصح مما كان متداولاً في المنشورات العلمية، مترجمة كانت أو مؤلفة منذ عدة سنوات، فتزيد هذه المؤسسات بذلك مرادفات أخرى لما هو موجود، وغالبا ما ترفض لأنها لم تأت في الوقت المناسب وفي السياقات الطبيعية التي تستعمل فيها ألفاظ اللغة عامة كما أشرت إلى ذلك من قبل²⁸. وكلمة فإن هذه التهيئة ركزت على الغايات والأهداف وقصرت في سبل بلوغها. إنه لمن السهل أن نجد مقابلا لأي مفهوم علمي أو عام، لكن من الصعب تقريبه من المستعملين وضمان انتشاره في نطاق واسع. أما آثار هذا التنوع فيمكن ردها إلى ثلاثة أصناف هي:

- صعوبات اكتساب المعرفة العلمية:

إذا تعددت المقابلات الدالة على مفهوم واحد أدى ذلك "إلى ارتباك في الفهم، ينعكس سلبا على استيعاب المعرفة العلمية وحسن تمثلها"²⁹. لأن دور السياق ومقام الحال الذي يساعد على الفهم ضعيف جدا في النصوص العلمية، كما يمكن أن تنتج عن الغموض والالتباس انعكاسات سلبية خطيرة عندما يتعلق الأمر بمبشرين علمية وتقنية، تعد فيها الدقة والوضوح مسألتين جوهريتين في مثل العلوم الطبية والقانونية والطيران ومثيلاتها، وهو وضع المصطلحات العلمية في اللغة العربية³⁰

- استفادة محدودة - إن لم نفل منعدمة في بعض الأوقات- من خدمات الهيئات الدولية والإقليمية والشركات الصناعية العالمية التي تعمل في مجالات حيوية عدة، بعضها له صلة بجميع فئات المجتمع، وتقدم لها إرشادات ونصائح في كيفية استخدام منتجاتها التقنية ذات الانتشار الواسع، وطرائق صيانتها مثل الأدوات الكهرومنزلية والمنتجات الصناعية الأخرى. وغالبا ما تقدم هذه التوجيهات والإرشادات بلغات أجنبية، لعدم وجود مصطلحات عربية معيارية³¹ وواضحة لدى جميع المستعملين، على الرغم من مطالبة هذه المؤسسات بالاتفاق على مصطلحات موحدة تفهم بيسر من قبل جميع الناطقين باللغة العربية، لأنهم يمثلون سوقا من أكبر الأسواق العالمية.

- انعكاسات سلبية على التبادل العلمي والتقني بين البلدان العربية لصعوبة الاستفادة مما يؤلف وينشر في كل بلد، سواء بالنسبة إلى الطلبة الجامعيين أو حتى الأساتذة. فكيف يمكن أن يستفيد هؤلاء الطلبة مما ينشر هنا وهناك، إذا كان مؤلف هذه الكتب والمعجم غير متفقيه على الكلمات المفاتيح ناهيك عن الكلمات الفرعية. ومثل هذا الحكم ينطبق على المؤلفات التقنية والعلمية على وجه الخصوص. أما العلوم الاجتماعية والإنسانية فهي أحسن حالا من الأولى. وأختم هذا العرض بالتذكير بأن اللغة تعكس وضع المجتمع، مما كانت هذه اللغة ومهما كان هذا المجتمع في مقدمه وتخلفه، كما تعكس وحدته وتشتته، والعالم العربي اليوم غير موحد في كثير من قضاياها الكبرى، فكيف تتوحد لغته.

¹ William Labov, Sociolinguistique, présentation de pierre encreve et de traduit de l'anglais par Alain Kahm, Les Edition de Minuit, Paris 1976.

² François Gaudin, Socioterminologie, une approche sociolinguistique de la terminologie, EDITEUR DE Boeck Supérieur, 2003.

³ François Gaudin, 1993 a, cité par Julie Peltier, La Variation terminologique à trois composantes, thèse de PH-D, Université Laval, Québec, 2012.

⁴ ينظر على سبيل المثال بحث يوسف الحوفي، وهو عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة بعنوان أزمة المصطلحات العلمية العربية، منتدى مجمع اللغة العربية في الشبكة العالمية، سجل في 2013/05/10.

⁵ La Variation Terminologique en Création Lexicale Arabe, Mariya Wafa et Cherif Alaoui, thèse (PH-D), Université de Québec, 1999.

⁶ المقصود به "ارتباط دالين مختلفين أو أكثر بنفس المدلول والمرجع، أي وحدتان محتملتان تعبران عن نفس المفهوم ونفس المرجع في كل السياقات، أما الأنواع الأخرى، فلكل متنوع سيات إيجائية أو لغوية اجتماعية...لا يمكن معرفتها دقيقة خارج الخطابات العلمية.

⁷ Julie Peltier, La Variation Terminologique à Trois Composantes, thèse de PH-D, Université Laval, Québec, 2012.

⁸ محمد شوقي أمين، بواكير الإصلاح اللغوي في العصر الحديث، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ج 31، مارس 1973.

⁹ جريدة الضياء سنة 1900، نقل عن حلمي خليل، المولد، دراسة في نمو وتطور اللغة العربية في العصر الحديث، 1971 الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص 54.

¹⁰ رياض قاسم، اتجاهات البحث اللغوي الحديث في العالم العربي، لبنان في القرن التاسع عشر، مؤسسة نوفل، 1972.

11الصيداي، محمد المنجي، التعريب وتنسيقه في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1980

12 مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مجموعة القرارات العلمية، 1971

13 رياض، قاسم، مرجع سابق، ص 171، 1972.

14 ميلة، طاهر، الألفاظ الحضارية الحديثة بين الوضع والاستعمال، أطروحة دكتوراه الدولة، جامعة الجزائر، 2002، ص 156 فما فوق.

15 الأمير مصطفى الشهابي، المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القدم والحديث، دمشق، 1965

16 لخصر زغال، الترجمة: توفير المصطلحات وضبطها وتوحيدها وتعميمها، في قضايا استعمال اللغة العربية في المغرب. مطبوعات الأكاديمية الملكية المغربية، سلسلة الندوات، الرباط، نوفمبر، 1993.

17 نظر طاهر ميلة، مصطلحات الرياضيات في التعلم المتوسط والثانوية، رسالة لنيل شهادة الماجستير في علوم اللسان والتبليغ اللغوي، جامعة الجزائر، 1986

18 ينظر في هذا الموضوع

¹⁹Alain Rey, Vers une Description des Variétés du Français : Inventaire des Particularités lexicales du Français en Afrique, Français dans le Monde, n170, 171, 1982.

20 La Variation Lexicales des Français ; dictionnaires, bases, corpus,
Hommage à Claude Poirier, Sous ladirection de Annick Farin et Valeria
Zott, 2014.

21 يمثل مقالة السلطان عبد الرحمن، في الفروقات المصطلحية بين المغرب الأقصى والبلدان العربية الأخرى، مجلة تريجان الصادرة عن مدرسة الملك فهد للترجمة، المجلد 16، العدد2، أكتوبر 2007. ويبحث الشيخ محمد رضا الشيبيني حول توحيد المصطلح، وأتى بأمانة عن اختلافات المصطلحات العسكرية بين مصر والعراق، منتدى مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية. سجل الموقع في 2013/01/29.

22 ينظر: الشيخ عبد القادر المغربي في محاضراته "حول المصطلحات العسكرية"، منتدى مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية.

23 خالد الحوفي، أزمة توحيد المصطلحات العلمية العربية، منتدى مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية، سجل في 2013/05/10

24 ينظر محمد مجدي علام: مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاماً، ص 161، 175، 160، وكذلك إبراهيم السمراني: اللغة العربية تواجه العصر ص 13 وما بعده.

25 المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث، دمشق، 1965 ص 141.

26 المرجع نفسه، صص 191، 192.

27 مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مجموعة القرارات العلمية، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1969 الطبعة الثانية، 1971.

28 Auger, p, 1984, 49 cité par M, Térésa, Cabré. www.iula. upf. Edu.

29 أسباب تعدد المصطلح العلمي العربي وأهمية توحيد، عبد الحفيظ جباري، في الشبكة العالمية، سجل في 2007/12/ 02.

30 عبد الحفيظ جباري، المرجع نفسه

و كذلك معجم ألفاظ الحضارة ومصطلحات الفنون، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الهيئة العامة لمنشورات المطابع الأميرية، القاهرة، 1980.

31 عبد الحفيظ جباري، المرجع السابق

32 ي نظر: ليلي المسعودي، المصطلح الطبي وتقاطع المجالات، مجلة اللسان العربي، العدد 43، سنة 1997، صص 38-43، وكذلك جريدة معبود، المصطلحات الطبية الواردة في نشرات الأدوية، الجزائر والأردن وسوريا نموذجاً، كة معدة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الجزائر، 2014.

33 في المصطلح العربي: قراءة في شروطه وتوحيده، علي توفيق الحمد، مجلة التعريب، الصادرة عن المركز العربي للترجمة والتعريب والتأليف والنشر، العدد 20، أكتوبر 2003، نقلا عن عبد الحفيظ جباري، مرجع سابق.